التصوير الصوتي في سورة الزلزلة

م.م.هادي سعدون هنون
جامعة الكوفة

التمهيد

الصوت وأثره في بناء المعنى

تتآلف مستويات المنظومة اللغوية التركيبية والصرفية والصوتية داخل النص الفني الو احد وتعيش حياة تفاعل وعمل دؤوب لتأدية المعنى بأحسن حلل وأبهى صورة ، فيعمد المنشيء إلى توظيف تلك المستويات وفقا لما يمتلكه من أرصدة لغوية قادرة على الإيصال والتأثير في المتلقي والصوت أصغر وحدة في الكلمة تتضح أهميته في بناء المعنى من خلال صفته ومخرجه وموقعه في الكلمة ضمن التركيب[١]

ولاشك أن إهمال مميزاته الدلالية من تكرار وتجانس وتأكيد وصفة يفقد البحث عمقه الدلالي فلو أردنا أن ننشئ دراسة صرفية على أساس سليم فسوف لايمكننا أن نفصل بين النطق وبين الجهر والهمس وليس هناك علم دلالة بلا صرف ولاعلم للصرف بلا أصوات))[٢]

ولم يغفل الدارسون القدامى تلك الخاصية ، إذ أشار ابن جني (ت ٣٩٢هـ) إلى ذلك فأكد أن ((مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج مُتلئِب عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها ...))[٣] منه قولهم في (خَضِم ، وقِضم) إذ عدو الخضم ، لأكل الرطب ، والقضم للصُلب اليابس ((فاختاروا الخاء ، لرخاوتها للرّطب ، والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث))[٤]

وحف علم اللغة الحديث هذا النوع من التصوير القائم على طبيعة الأصو ات بالاهتمام الكبير وأطلق عليه ((الدلالة الصوتية وهي مستمدة من عمليات النطق ومن طبيعة بعض الأصوات في المنطوق به))[٥] ، فجعل دراسة العنصر الصوتي للمفردة الأثر الكبير في لمس و تحديد الخيوط الأولية للبنية وصولا الى معنى النص بأكمله.

وبذلك تقاسم الدارس اللغوي قديما وحديثا الاهتمام للعنصر الصوتي منذ عصر تدوين اللغة إلى عصرنا هذا[٦]، إذ ترتفع تلك القيمة الصوتية في النصوص الفنية الرفيعة على مر العصور فلا تنفض أسرار المعاني الإيحائية فيها ، وقلّما تعرف النهاية فتتجدد جيلاً بعد جيل كم وضوع حي يحمل من المعاني لم لا سبيل إلى الإلمام به ،ويعتلي القرآن الكريم القمة في التوظيف الصوتي ((فاختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لايمكن أن تستبدل بغيرها فجاء كل لفظ متناسبا مع صورته الذهنية من وجه ودلالته السمعية من وجه آخر))[٧] ، إذ شكل الله سبحانه وتعالى كلماته في إسلوب فني معجز وبلغة قوم وصلوا في لغتهم أعلى درجات الرقي الفني

الإنساني، وهذا ما وثقه التاريخ ونقله الشعر والنثر، إلا أن تلك الكلمات المقدسة والإسلوب السهل الواضح الذي اخذ يسلب الأذهان والقلوب جعل الناس حائرين أمام دقته المتناهية ، فأخذوا يصفونه بالسحر تارة وبكلام مجنون أو كلام ساحر تارة أخرى، فعجزوا عن مجارته بعد أن تحداهم الله سبحانه وتعالى في قوله : ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))[٨].

وسنتأمل في بحثنا صورة من صور الإعجاز اللغوي في سورة (الزلزلة) من خلال التصوير الصوتي في هذه السورة المباركة ، إذ انماز القرآن ببنائه الصوتي المنفردفهو لايقوم على نظام (الحركة والسكون) في قالب جاهز كما هو الحال في الشعر، كما أنه لايقع تحت وطأت التوحد الشكلي في اختيار المفردة التي تنهي عبارته - القافية - ،وإنما ينفرد بقالب صوتي معين ينسجم مع طبيعة المواقف التي تصور الحدث ؛لما تمتلكه الأصوا ت من ((أثرٌ موسيقي خاص يوحي إلىالسمع بتأثيرات مستقلة تمام الاستقلال عن تأثيرات المعنى وعن مجرد كون اللفظ رقيقاً وغير رقيق))[٩]. ولابد من التأكيد في إنطلاقة البحثأن الصوت اللغوي لايمتلك القدرة على التصوير وتعميق المعنى في ذهن المتلقي بشكل مسبق ، وإنما من خلال موقعه في السياق ؛ لأن الصوت لايكتسب هذه الخاصية الشمولية في إدراك معالم التصوير من مجرد وجوده في المفردة ، بل من خلال التوظيف الدقيق للصوت اللغوي في السياق في موضعه المتقن من إيقاع الجملة وتنغيمها، ((يوحي بأثر موسيقي خاص ، يستنبط من ضم الحروف بعضها لبعض ، ويستقرأ من خلال تشابك النص الأدبي في عبارته فيعطي مدلولاً متميزاً في مجالات عدة : الألم، البهجة ، اليأس ، الرجاء ، الرغبة ، الرهبة ، الوعد ، الوعيد ، الإنذار ، التوقع ، الترصد ، التلبث . . إلخ))[١٠] .

ومن يتقصى هذا التصوير يجد أن الصوت في المفردة القرآنية وظف بدقة متناهية فاعتنى القرآن بالتصوير الصوتي من خلال محاور كثيرة أهمها:

أولا : الفاصلة القرآنية

ثانيا : التكرار

ثالثا : التجنيس

وهذا ماسنتبينه في التصوير الصوتي في سورة الزلزلة .

المبحث الأول

أثر الفاصلة القرآنية في بناء الصورة

لم يختلف الدارسون في تعريف الفاصلة القرآنية بقدر اختلافهم في التسمية ، فكادوا أن يجمعوا على أنه لفظ آخر الآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر[١١]

ولا نريد الخوض في تفاصيل الخلاف الذي ثار بين البلاغيين حول استعمال مصطلح السجع في القرآن الكريم ، وإنما نذكر أن الشائع استعمال مصطلح الفاصلة في القرآن والسجع في غيره وقد إتخذ القرآن الكريم من الحروف العربية فواصل مميزة ذات وقع نغمي ووضوح سمعي وتأثير صوري بني على أساس دقيق ينسجم ((مع وقع معانيه في النفوس ، وكأنما اللفظ والمعنى يتواكبان ويتسابقان في السطو على الأسماع ومشاعر القلوب معا ،ذلك على السمع وهذا على الفؤاد في التئام ووئام ، فإن كان تكريما فلفظ أنيق ، أو تشريفا فتعبير رحيق ، وإن تهديدا فكلمة غليظة ، أو تهويلا فلفظة شديدة وهكذا تتجسد معاني القرآن في قوالب ألفاظه وتتبلور في أجراس حروفه))[١٢]

واتخذ الدارسون معايير عدة في تقسيم أنماط الفواصل القرآنية منها:

١- التقسيم بحسب وزن الفاصلة وحرف الروي وهي :

-المتوازي: وفيه تتفق الفاصلتان في الوزن والقافية من دون ألفاظ القرينتين [١٣]

- المتوازن: ويقصد به إتفاق الفاصلتين في الوزن من دون حرف الروي[١٤] وعد أكثر أنماط الفواصل القرآنية شيوعا[١٥]

- المطرف : وهو ماتفقت فيه الفاصلتان بحرف الروي واختلفتا في الوزن[١٦]

٢- أما التقسيم بحسب طول الفقرتين أو القرائن فهو على أنواع القصير والمتعادل والمتوسط

أما الفواصل بحسبان حرف الروي فتقسم على :

١- الفواصل المتماثلة : هي الفواصل التي تنتهي بحرف روي واحد.

٢- الفواصل المتقاربة: هي الفواصل التي تنتهي بحروف روي متقاربة.

ويتخذ القرآن من التصوير أساساً للتعبير فيه ، ويعتمد جميع أشكال الفواصل التي مرت بنا عنصرا أساسا من عناصر التصوير باللوحة القرآنية طبقا لما يقتضيه الخطاب ، ومن تلك الأشكال مايتجلى في سورة الزلزلة ، إذ وردت الفاصلة في الآيات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة مطردة على الألف الممدودة وهو ماأطلقنا عليها بالفاصلة المتوسطة الطول أوالفاصلة المتوازية بحسبان وزن القافية وحرف الروي فيها.

وعند تتبع مكامن التصوير الصوتي في تلك الفواصل نجد أن إختيار صوت الألف في نهاية الآيات القرآنية لسورة الزلزلة أسهم في تعميق المحتويين الفكري والعاطفي ، لما ينماز به صوت الألف من خصائص يمكن إجمالها في الآتي :

١- يعد صوت الألف أخف الأصوات العربية [١٧]، وغالبا مايمنح المفردة الإطلاق والمد غير المحدود بنقطة تقاطع وتلاقي ، ينطبق فيها الوتران الصوتيان.

٢- يعد صوت الألف من حروف المد الواضحة بل أشدها وضوحا عند الأصواتين .

٣- يعد صوت الألف من الأصوات اللغوية المجهورة التي يهتز معها((الوتران الصوتيان نتيجة انقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء واقتراب الوترين اقترابا يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالإهتزاز))[١٨] ، ويكمن المفعول الصوتي في التصوير لما يمنحه صوت الألف في السياق النصي للآية من الخصائص الصوتية السابقة ، فالخطاب القرآني موجه من الله جل وعلا إلى الناس يصف فيه يوم القيامة وما يصحبه من حركة عنيفة ((إذا زلزلت الأرض زلزالها))[١٩] ، أي حركت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة[٢٠] ، ثم يقول ((وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا))[٢١]

ولتعميق المستوى الدلالي في النص القرآني وظف صوت الألف ليمنح صورة الزلزال الشديد صوتا مديا واضحا مرعبا ومطلقا في نهاية الآية فهو غير مقيد بحدود ، كما عهده الإنسان في الزلازل الطبيعية ، التي تقع في مكان معين من الأرض من دون الأماكن الأخر ، ولو فرضنا جدلا أن الفاصلة القرآنية في مفردة ((زلزلة)) لم تكن الألف وكان سياق الآية ((إذا زلزلة الأرض الزلزال))، لكان الزلزال مقيدا بحدود ومعهود بصفات مميزة عندنا

بيد أن صفة المد الصوتي وأتساع مخرج الألف أسهم في تكثيف ألوان الصورة ، وكأن المتلقي أحس بأن لتلك الأرض التي يعيش عليها زلزالا مخصوصا غير محدد المعالم ، وهذا لم يكن بمعزل عن السياق النصي للآيات القرآنية ، إذ تعاضد التو اشج الصوتي والدلالي على خلق صورة عملقة المعنى في ذهن المخاطب وأثرت في أعماقه[٢٢].

أما فيما يتعلق في ميزة الجهر لصوت الألف فهي ماتضفيه الأصوات المجهورة بشكل عام من قوة وشدة تمنح المعنى وظيفة القرع والوضوح في مسامع المخاطبين ، فيتصور المتلقي من خلالها النهاية التي لايمكن أن يحدد حجمها وقوتها في نهاية كل أية ؛لمرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من أية موانع أو حوائل تعترضه ؛ لذا وفر صوت الألف المجهور درجة عالية من الوضوح والإمتداد في

أسماع المخاطبين ، فحمل أصدائه للصورة لما أضفاه التوظيف الصوتي على التكوين السياقي من قوة تعبيرية غالبا ماتمنحها الأصوات المدية[٢٣] و لاتتحقق تلك الدرجة من الوضوح السمعي عند المتلقي فيما لو وظف صوتا آخر؛ لكونه ((يمثل أعلى درجات الوضوح السمعي من بين أصوات اللغة العربية لما فيه من حزم صوتية عالية))[٢٤]

وبعد الإنتهاء من فاصلة الألف ، إنتقل النص القرآني إلى فاصلة أخرى هي فاصلة (الميم)في قوله تعالى ((يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ))[٢٥] ومن يتابع فواصل الآيات القرآنية في سورة ((الزلزلة)) يجد أن هناك مخالفة وعدولا عن التماثل الصوتي المنبعث عبر فواصل الآيات السابقة واللاحقة ، ويعد ذلك تقنية إسلوبية صوتية شائعة في فواصل قصار السور القرآنية وظفت بإسلوب فني يصيب المخاطب بالصدمة ؛ لمجيئها فجأة[٢٦].

وفي محاولة إستقصاء علة الإنتقال إلى فاصلة أخرى ومخالفة الفاصلة التي سبقتها ، يتضح أن إسلوب النص القرآني دقيق في وصف المقام ، فتتشكل ملامح الصورة على وفق الحدث ، فيبدو أن المخالفة والانتقال من فاصلة (الألف) إلى (الميم) أسهم في سحب المتلقي من هزة الزلزال المتلاطم والحركة العنيفة للأرض والصوت الهائج والأثقال والدهشة والذهول إلى وقفة تأمل يشغلها العمل بقطبيه المتناقضين ، وكأن الصورة ذات الحركة العنيفة التي رسمتها الآيات السابقة ، سكنت وهدأت فمنح الله بها المخاطب فرصة العيش و الرؤية المحفوفة بالخوف والترقب ؛ لإستقصاء الإنسان تلك الأعمال الموثقة ، وإنشغاله في مقارنة ذهنية نفسية أخروية دنيوية طبقا لما يراه من توثيق ، وكل تلك الأمور تفرض على الموقف الهدوء والاستكانة ولا تحتاج إلى الجهر والشدة في الإيقاع ، بل يحاول المخاطب في مثل هذا الموقف الإنصات وإسكات كل من حوله ، كالطالب المنتظر نتيجة الاختبار وهي أمام يديه فلا يعبأ بمن حوله ويرغب في هدوء لمعرفة النتيجة النهائية وهو يترقب صفحات الإجابة ، فها هنا خطأ ، وهذا صحيح ، كيف والناس كلهم أمام صفحات أعمالهم؟

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل أن الميم جاءت لتعبر عن شمولية الموقف على الناس من دون إستثناء ؛ فهم سواسية في رؤية الموقف ؛ لذا قال ((الناس)) ولم يقل ((المؤمنون)) أو ((الكافرون)) أو ((المنافقون)) أو غير ذلك من الخطاب المتنوع في القرآن الكريم .

ولعل أحدهم يعترض فيقول أن ورود ((الميم)) كفاصلة قرآنية في هذا الموضع من السورة جاء طبيعيا ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يخاطب الناس ، وهم جمع وأن الميم مع الهاء يكونان ضمير الجمع ((هم))لذا جاءت الفاصلة ((الميم))؟

نقول لو كان الخطاب القرآني يريد إظهار خاصية الجمع فقط من دون ماذكرناه ،فهناك أساليب نصية أخرى ممكن أن تمنح الآية القرآنية خاصية الجمع كقولنا فرضا (يَوْمَئِذٍ تصدر النَاس أَشْتَاتًا لترى أَعْمَالَها) وذلك من خلال جعل الفاصلة (الألف) وبهذا يتحقق التماثل الصوتي مع الآيات القرآنية السابقة ، وهو أمر شائع في أغلب سور القرآن الكريم القصار ، منها قوله ((إِ نَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ))[٢٧]

وفي قوله تعالى ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ))[٢٨] وغيرها من السور القرآنية[٢٩] التي ساد فيها التماثل الصوتي طبقا لمقتضى الحال وتعاضدا مع المستوى الدلالي هذا من جانب .

ومن جانب آخر يتحقق الخطاب الجمعي كما هو واضح في السياق الافتراضي والذي لا يتفق مع مقتضى الحال في إسلوب القرآن ، إذ أن النص القرآني وظف الفاصلة إلى ماهو أبعد من ذلك ، لذا كانت فاصلة ((الميم)) حاضرة لتستوعب الإيقاع الصوتي في الحدث ؛ لكونها أوقع في النفس وأدق في رسم الصورة ؛ لما ينماز به صوت الميم من إيقاع هادئ رخو ؛ لأنه من الأصوات شفوية المخرج ، ولا تحتاج إلى جهد في النطق[٣٠].

فكانت الفاصلة لمسة بيانية متقنة أرخت بضلالها على الدلالة ، فلونت الصورة بالهدوء المنسجم مع الإنتقالة الثانية في الفاصلة القرآنية ، والذي لايتحقق بإستمرار صوت الألف .

بيد أن وصف الهدوء ورويت القراءة لم تدم طويلا ، إذ أعاد الخطاب المتلقي إلى التأزم النفسي والانحباس ، على وفق رؤيته لتلك الأعمال ، فهذا الكتاب لايفا رق صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها في كتاب مبين[٣١] ، وهذا مايتجسد في قوله تعالى :{ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره*ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره }[٣٢]

فتحول الموقف من الهدوء والترقب إلى موقف جديد هو موقف الدهشة وضعف الحال تارة ، والفرحة والسرور تارة أخرى ،طبقا لواقع الأعمال التي قدمها الناس ونتيجة الإختبار فترى في ذلك اليوم ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ))[٣٣] وكل أجزاء هذا الحدث تولد((الإسترخاء والضعف)) نتيجة طبيعية لما مر به الناس من خوف وترقب وانتظار و بعد العمل الشاق الذي إستنفذ كل القوى .

وهذا المستوى الدلالي لسياق الآيات ، تبعه تحول في المستوى الصوتي ، فكانت فاصلة الهاء فاصلة ثالثة ، نسجت في أواخر الآيات ؛ لتعطي السورة القرآنية بعدا صوتيا موحيا ، إذ جاءت لتسهم في

تحقيق مايمكن تحقيقه من خلال وقعها وجرسها وخصائصها الصوتية التي يصفها علماء اللغة بالضعف والخفاء[٣٤] ، إذ كشفت الاختبارات الصوتية الحديثة أن الأصوات المهموسة تنتج بجهد ووقت أقل[٣٥] وهذه الخصائص الصوتية أسهمت في تلوين الصورة من خلال الإيقاع الصوتي ، فبعد الخروج من موقف الدوي والارتجاج إلى موقف الهدوء وعرض الأعمال لرؤيتها إلى موقف أخير يصور فيه الخطاب القرآني حال الناس وضعفها وقلة حيلتها إذ لاتستطيع أن تقدم لنفسها خيرا أو شرا ، فخيم عليها الصمت والضعف والدهشة ، وهذا مايجعل (الهاء) أكثر الأصوات تصويرا لهذا الموقف ، والله أعلم.

المبحث الثاني

أثر التكرار الصوتي في بناء الصورة

يعد التكرار من الأساليب اللغوية التي احتواها الأدب العربي منذ عصورهِ الأولى ، ونعني به في التعبير الأدبي ((تناوب الألفاظ وأعادتها في سياق التعبير ، بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره أو نثره))[٣٦]

ولو تتبعنا أنماط التكرار في السورة المباركة طبقا لدراستنا الصوتية وأثرها في تصوير المعنى لوجدنا أنها تنقسم على :

أولا : التصوير بالحرف

للإسلوب القرآني نظام خاص في توظيفه للغة ، فبعد أن أحاط بعموم اللغة العربية من لهجات وخصائص ، نسج في تشكيله للغة إسلوبا ، إنماز بالخصوصية والتفرد ؛ لذا أعجز الله العرب من أن يأتوا بمثله ولو بآية ، وهذا مايدعونا إلى وقفة أمام مقولة ((القرآن جار على أساليب العرب)) فالقرآن الكريم له طريقته الخاصة في إستعمال اللغة ، فله نحو خاص وصرف خاص وتصوير صوتي خاص إذ هناك من الألفاظ القرآنية ماتوحي بأصواتها المنتقاة[٣٧]

وسورة (الزلزلة) من السور القرآنية التي انمازت بدقة التصوير الصوتي ، إذ تجلت لنا مجموعة من الأصوات والمقاطع الصوتية المتكررة ، أضفت على الحدث أبعادا إيقاعية ودلالية من تلك الأصوات (اللام) وهو من الأصوات التي تتصف بالسمات الآتية :

♦ - صوت اللام من الأصوات الذلقية؛ لأنّه يبدأ من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان[٣٨]

♦ - صوت اللام ينماز بصفة التوسط بين الجهر والهمس[٣٩]

♦ - ينماز الصوت بصفة ((الإنحراف)) إذ يميل فيه مخرج الهواء إلى طرف اللسان[٤٠]

♦ - له صفة ((الإنفتاح – التوسط – الميوعة))[٤١]

ولو تدبرنا ماأحدثه صوت اللام في أي مفردة من مفردات السورة المباركة لنجد توفر تلك الصفات لرسم إيحاءات الصورة من خلال بنيتها الإسلوبية فلننطق كلمة ((أثقالها)) بتقاطيع أصواتها : أث / قا / ل / ها ، ألا نجد في مقطعها الأول بثيث حركة وئيدة تهمس بصوت (الثاء) المهموس[٤٢] وكأن الهواء المندفع من الحنجرة ينتظر فك أسره من الثاء ، فيأتي صوت القاف ؛ ليمنح الهواء المندفع من الحنجرة والمتوقف عند الثاء همسا[٤٣] آخر ، ولكن ذلك الهمس لايستمر طويلا ، بل ينفجر بكل مالديه من قوة ووضوح في صوت (الألف) الممدود ، وتتكرر العملية في المقطع الثالث والأخير، وكأن المقاطع الصوتية في مفردة (أثقالها) رسم لنا صورة انفجارية تبدأ من الصوت المنبث في بـا طن الأرض ثم يتصاعد رويدا رويدا حتى الإنفجار مرة بعد أخرى ، فتخرج الهمزة من الحنجرة وتعترضها الأسنان ؛ لتولد بثيث همس سرعان ماينفجر في توليفة المقطع الصوتي الثاني ، فينفتح فيه الفم على مصراعيه وينفتح معه كل شيء وتحس بشدة الأمر وضخامته عندما تتعاضد تلك الأصوات المجهورة الشديدة المتمثلة في القاف الإنفجارية والألف الممتدة .

وبهذا التعاضد والإنسجام في الأصوات صفة ومخارج في خضم سياق الآيات يوحي لنا الصوت بملامح الصورة فنحس بثقل الكلمة أو خفتها ومرارتها وحلاوتها على وفق التدرج المتنامي في عملية النطق للمفردة .

من يستقصي صوت اللام في القرآن الكريم يجده من المهيمنات الصوتية ، إذ ورد في عموم سوره وآياته ثلاثا وثلاثين ألفا وخمسمائة واثنتين وعشرين مرة[٤٤].

وتكرر في سورة (الزلزلة) سبع عشرة مرة ، فوجد بشكل مكثف في بداية السورة وعلى الأخص الآيات الخمس الأولى ، ثم تدرج بالتضاؤل شيئا فشيئا ، إذ لو رسمنا مخططا بيانيا يوضح التكثيف في وجود (اللام) المكررة في سورة زلزلة لكان لدينا المخطط الآتي :

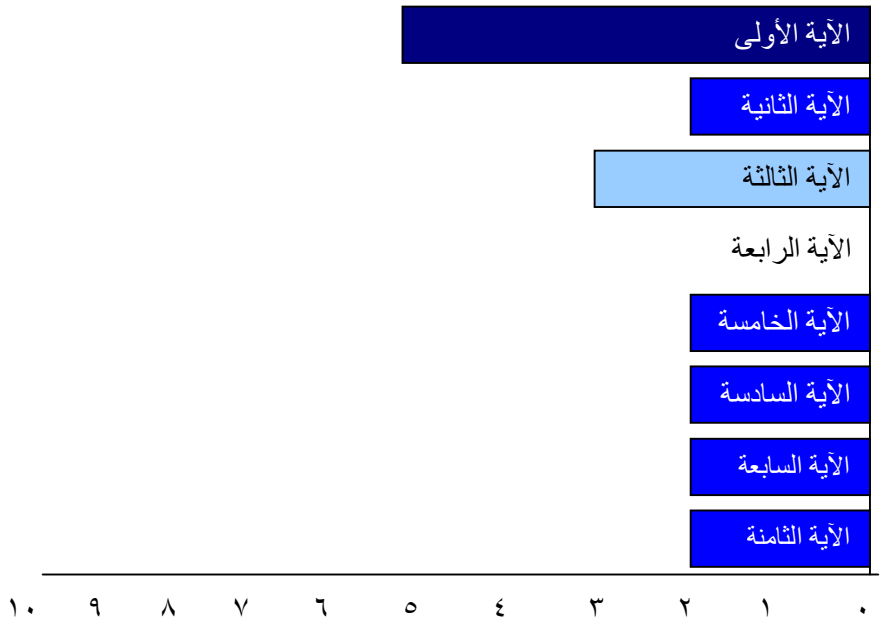

إذ تكررت (اللام) إحدى عشرة مرة في الفاصلة الأولى ، بينما جاءت مر تين في كل آية من الآيات الأخرى ، وهذا التوزيع في التكرار الصوتي ، وفر إيقاعا منسجما مع دلالة الحدث ، فالزلزال الذي يصفه الإسلوب القرآني بتمعن يكون نتيجة اضطراب الأرض وخروج أثقالها وسطما يحدثه هذا الإضطراب من ضعف أمام تلك الحركة القوية ، إذ لو دققنا الرؤية في فحوى الخطاب نجد أن الفحوى (الترهيب) ، بيد أن الترهيب جاء بصورة أشركت إحساس المتلقي للتفاعل مع النص فعاش تلك الأحداث وكأنه في ذلك اليوم ، لما ينماز به التصوير القرآني من نسج الصوتي القائم على ((توليد حركة تفضي إلى سلسلة أخرى من الصور ، ودون حاجة إلى أن تكون مجموعة الصور لوحة متكاملة فإن في تواليها وما تضفيه كل واحدة على سابقتها من تأثير عاطفي يرفع درجة حرارة التعبير الشعورية))[٤٥] فبدأ الخطاب بالشرط ؛ ليدع المخاطب يترقب وسط ذهول وحالة نفسية مضطربة ؛ لأن القرين المادي لآثار الزلزا ل حاضر في ذهن المخاطب ، وبذلك يدب الضعف والميوعة والحيرة في جسده وذهنه ، وهذا ماحدث فعلا ، لما أخبرت به الآية القرآنية عن ماسيقوله حينها بقوله تعالى : ((وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا))[٤٦] يبدو لنا مما تقدم أن تكرار صوت اللام في بداية السورة أسهم معنويا في بناء صورة الحدث ونفوذ في نسجه طبقا لما ينماز به من صفات الإضطراب والميوعة المذكورة في أعلاه .ولصوت (الألف) في سورة الزلزلة من غير الفاصلة بعدا إيقاعيا أسهم تكراره في بناء الصورة الكلية ، لما ينماز به صوت الألف من خصائص ،

لايختلف آثارها في التصوير عن مامر ذكره في مجال البحث السابق ،إذ لو رسمنا مخططا بيانيا يوضح التكثيف في وجود(الألف) المكررة في سورة الزلزلة، لكان لدينا المخطط الآتي :

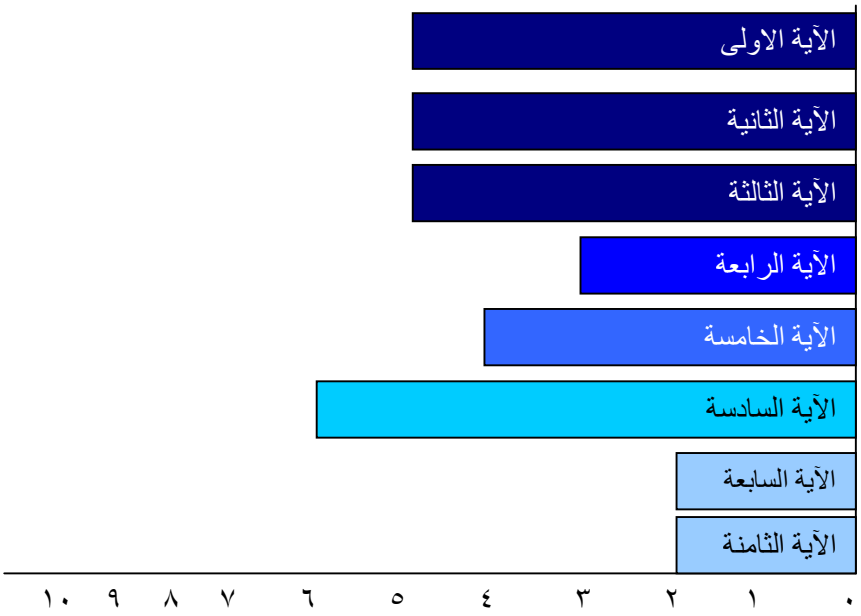

وكان لتكرار صوت (الزاي) أيضا أثر واضح في رسم صورة إيحائية عن أبعاد الحدث في الآيات القرآنية الأولى في السورة وتحديدا في مفردة (الزلزال) إذ أن من صفات هذا الصوت الجهر والإهتزاز عند النطق به[٤٧] فتكون الأوتار الصوتية في حالة إهتزاز مسببة جهر الصوت لذا جاءتناغما مع السياق ليرسم لنا بعدا صوتيا يتناسب مع صورة الحدث المضطربة فأحسسنا بإهتزاز الأرض وأزيزها على وفق السياق التام للألفاظ ، وهذا مايتفرد به القرآن حد الإعجاز ((فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ؛ وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ؛ وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية[٤٨]

ولعل آفاق التصوير الحركي في هذه الآية بشكل خاص ، وسورة (الزلزلة)بشكل عام واضحة من خلال جرس الكلمات[٤٩]

ثانيا: تكرار المقطع الصوتي

تباين علماء اللغة العربفي تعريف المقطع الصوتي ، يصعب مهمة البا حث في إيجاد تعريف جامع مانع له ، ولعل الخوض في تفاصيل الخلاف يحتاج كثيرا من التفصيل لامجال لذكره في بحثنا ، بيد أن هناك من فصل في تعريفه وأنواعه وأهميته[٥٠]، وأشار إلى تعريف المقطع

الجامع في تعريف الحمد في قوله أن (المقطع مجموعة أصوات تنتج بضغطة صدرية واحدة تبدأ بصوتٍ جامد يتبعه صوتٌ ذائب (قصير أو طويل) وقد يأتي متبوعاً بصوتٍ جامد أو أثنين ويكون الصوت الذائب في قمة الأسماع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى التي يتألف منها المقطع)[٥١] والذي يهمنا في هذا الموضع مايضفيه التكرار المقطعي في الألفاظ لتصوير الحدث وتكثيفه

ومن يستقصي أثر التكرار المقطعي في سورة الزلزلة ، يجده قد وظف في المفردتين (زلزلة – أشتاتا) وهما من الألفاظ القادرة على منح صورة الحدث الإثارة التصويرية على وفق ماوظفت له تلك الألفاظ في الآيات الأولى وفي قوله تعالى ((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا))[٥٢].

فتكرار البنية الصوتية في مفردة (زلزلت) تحديدا في المقطع الصوتي (زل) يمنح وجوده الصورة معنى الزلل والذي يثير بمفرده في النفس حركة عنيفة وإضطراب شديد[٥٣] ؛ لدرجة انغلاق تلك الأنفاس لشدة الصوت ورهبته ، إذ يعد (زل) من المقاطع الصوتية الطويلة المقفلة [٥٤] وهذه الدلالة الصوتية كلها ناجمة من المقطع (زل) فكيف إذا تكرر المقطع الصوتي مرتين

زُ – لْ + زِ - لْ

مقطع طويل مقفل + مقطع طويل مقفل

ولو نطقنا ذلك المقطع الصوتي في بنيته المتكررة ،لوجدنا انغلاق شديد في مجرى الهواء بصورة يميزها المتلقي البسيط ولا نجد حاجة لعلم تشريح مخارج الأصوات أو معرفة كبيرة في الدرس الصوتي ، و لايخفى ماأضافه صوت (التاء) في نهاية اللفظ من إيحاء صوتي حاور فيه روع المتلقي فألقى فيه شدة وقع الحدث ، كون (التاء) من الأصوات الشديدة [٥٥] ويبدو لنا أن تلك الآيات وظفت تحت حقل دلالي منظم ، فكونت مجموع مفرداتها بما تمتلكه من خصائص صوتية قيمة دلالية .

وتكرس أصوات البناء المقطعي في كلمة (أشتاتا) معنى الإضطراب وشدته في ذلك المقام بلمحة فنية أخرى وبتعاضد صوتي آخر متمثل ببنية المفردة الصوتية ، وما تملكه تلك الأصوات من خصائص أسهمت في رسم صورة المشهد الذي ((يهز تحت أقدام المستمعين لهذه الصورة كل شيء ثابت))[٥٦] فالحدث مخيف يهرع فيه الناس متشتتين، لايعلمون أين المفر؟ ومن أين الاتجاه؟ وصوت الشين من الأصوات التي توحي بصورة التفشي والانتشار بغير نظام[٥٧] أضف إلى ذلك صوت(التاء) وما يتمتع به من صفة تدل (على الإضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة)[٥٨] وصوت الألف وما ينماز به من خصائص مر ذكره أهمها المد الصوتي للألف وعدم تقييده بحدود .

وهذا ماقد يضفي على المشهد ضلالا تصويرية تمنح المتلقي إحساسا وإيحائا ، بأن تشتت الناس وإنذهالهم بالموقف لايمكن أن يحدها بحدو عينية وإنما هي صورة تكاد تخرق التوقعات وهذا المشهد في حال تحسس الصوت مفردا في الكلمة ، فكيف وهو في حالة التكرار المقطعي في صوتي (التاء) و (الألف) في كلمة (أشتاتا).

المبحث الثالث

أثر التجنيس في بناء الصورة

يوظف المنشىء في بناء نصه الفني كل طاقاته التعبيرية والفنية ؛ لإيصال المعنى إلى المتلقي أولا والتأثير فيه ثانيا ، ويبدو أن الإيصال والتأثير لا يحققان مايصبو إليه المبدع إلا من خلال الصياغة الفنية المحكمة، وتسخير الأساليب المبدعة .

و التجنيس من الأساليب التصويرية الخلاقة ضمن مكونات النصوص الفنية في جميع أشكالها والتجنيس في اللغة ((تفعيل من الجنس و المجانسة مفاعلة منه ؛لان إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة و التجانس مصدر يجانس الشيئين إذا دخلا تحت جنس واحد))[٥٩].

أما في الإصطلاح فهو((تشابه الكلمتين في اللفظ))[٦٠] أو ((اتفاق اللفظتين في وجه من الوجوه مع اختلاف معنييهما))[٦١].

ويبدو لنا من خلال التعريفات السابقة أن التجنيس يعتمد في بنيته الإسلوبية على الجانب الصوتي ، وعلى أساسه تسمى أنواع التجنيس ، فإن كانت الكلمتان المتجانستان متفقتين في أصواتهما ومختلفتين في المدلول يسمى التجنيس تجنيسا تاما[٦٢] أي هناك إتفاق تام بين الكلمتين ((في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها))[٦٣] ، أما إذا كان هناك إختلاف في أصوات المتجانستين في نقص أو زيادة في عدد الحروف أو ترتيبها، فيسمى التجنيس تجنيسا غير التام ، إذ تتفق فيه اللفظتان المتجانستان في وجه من الوجوه كعددها أو نوعها أو هيئتها ولكن يختلف معناهما[٦٤] .

والتجنيس من الإبداعات الصوتية الحاضرة حضورا متميزا في القرآن الكريم بشكل عام وفي سورة الزلزلة بشكل خاص .

والقارئ للآيات القرآنية في سورة الزلزلة ينتابه شعور مخيف ، يولد من الإحساس بتأثير تلك البنى الإسلوبية المتراصة ، إذ يجد في كل نبرة من نبرات الأصوات وفي كل تشكيل طرقا

تحذيريا ، يستولي على شعوره ، ويبدو أن التجنيس قد وظف لينسج ماينسجه من أجزاء تلك الصورة التحذيرية المضطربة في لفظتي (زُلْزِلَ) و(زِلْزال) في قوله تعالى : ((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا))[٦٥] فنجد تغيرفي بنية اللفظتين الصوتية ، بزيادة حرف الألف في اللفظة الثانية (زلزال)، ويطلق على هذا النوع من التجنيس بتجنيس الإشتقاق أو المشتق : ((وهو الذي يرجع معنى ركنيه إلى أصل واحد))[٦٦] ، وهذه الزيادة في صوت (الألف) لها تأثيرها الخاص في تكثيف المعنى ، إذ أضفت إلى الصورة زيادة حركية أوسع مما كانت عليه في اللفظة الأولى (زلزل) لما يتصف به الصوت المضاف من خصائص كالمد والجهر والوضوح والتي مر علينا في صفحات البحث السابقة منحت تلك الامتيازات الصوتية صورة (الإضطراب)في اللفظة الثانية مدا غير منته بحدود ، إذ تنفتح جميع أعضاء الجهاز النطقي بهذا الصوت ولا يعيقها حائل ، فأحسسنا وكأن الزلزال لاينتهي بنهاية وغير مقيد بحدود زمنية معينة ، على عكس ماصورته اللفظة الأولى (زلزل) ، إذ أحسسنا بإضطراب الأرض ، ولكن بصورة أقل شدة وأقل مدا مماهي عليه اللفظة الثانية .

وإذا كان قد تحقق ماأراده البلاغيون من شرط التغير في المعنى للتجنيس في اللفظتين [٦٧] فكذلك أضفى التجنيس في اللفظتين مهاما تصويرية تبدو معالمها في :

♦ - تأكيد صورة (الإضطراب) في ذهن المتلقي من خلال تعزيز رغبته في تقصي الدلالة الجديدة التي أحدثتها التغيرات الصوتية في اللفظتين ، كوننا لانستحسن ((تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا))[٦٨]

♦ - مواصلة التأثير النفسي وتعميقه في شعور المتلقي من خلال الإيقاعات الصوتية التي تغلغلت في نفوس السامعين ، إذ وفرت الخصائص الصوتية في اللفظتين شعورا مخيفا يثير الرهبة والرعب وهذا مايهدف إليه النص ، والله أعلم .

ولكن مهمة التجنيس التصويرية لم تنته عند هذا الحد ، بـ ل أن ورود لفظ (زلزل) في اللفظة الأولى بصيغة الفعل (المبني للمجهول) واللفظة الثانية بصيغة (الإسم)سببا في إطلاق تسمية (التجنيس المغاير) وهو صنف من أصناف التجنيس الإشتقاقي أو المشتق وفيه يكون ((إحدى الكلمتين إسما والأخرى فعلا))[٦٩].

ويبدو أن لتلك الصياغة جدوى في التصوير ، إذ وفر الفعل (زلزل) المبني للمجهول بعدا تصويريا ذا ملامح ، إتسمت بالغموض وعدم الإفصاح عن المسبب لهذا الإنهيار الفجائي للأرض،

وبه زاد الأمر غموضا وتعقيدا وظلامية ، فعمق في نفس المتلقي صورة الإضطراب النفسي وهذا ((لا يتحقق إلا بالخداع عن الفائدة وقد أعطاها وبالإبهام في أنه لم يزد على المراد وقد زاد ومعنى هذا إن الجناس أمرٌ نفسيٌ ومسألة شعورية))[٧٠].

بعدها جاءت اللفظة الثانية بصيغة (الإسم) ؛ لأن الزلزال أمر محتوم وثابت في نفس وذهن المتلقي لما تتصف به الأسماء من خاصية الثبوت .

ومما سبق يتضح لنا أهمية الألفاظ المتجانسة في التصوير فهي ((وسيلة فعالة في نقل المعنى كما تحدث في نفس المتلقي متعة ولذة تعشقها الأذن التي هزها هذا الترديد للأصوات فأحدث فيها نوعا من الإستجابة والإثارة والمشاركة))[٧١]

ولا تقف تقنية التجنيس في التصوير على ماأحدثه في صنفه الإشتقاقي بل تتعداه إلى صنف آخر تكون فيه الكلمتان المتجانستانمتفقتين في أصواتهما ومختلفتين في المدلول و يسمى بالتجنيس التام[٧٢] أي هناك إتفاق تام بين الكلمتين ((في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها))[٧٣] وهذا مانجده في قوله تعالى:{ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره*ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره }[٧٤] ويطلق على هذا النوع من التجنيس بالتجنيس المماثل ويصنف على أنه فرع من فروع التجنيس التام وفيه يكون ركنا التجنيس ((من نوع واحد كإسمين أو فعلين ، أو حرفين))[٧٥] ويبدو لنا أن تسمية التماثل على اللفظين المتجانسين تفرغ التجنيس من محتواه الفني كتقنية إسلوبية ، إشترطها البلاغيون ، عندما أقروا التغير في معنى الألفاظ المتجانسة لا التشابه والتماثل لذا فأن التجنيس في الخطاب القرآني يدخل النسيج الدلالي في سورة الزلزلة راسما أبعادا تصويرية عميقة من خلال التجانس التركيبي في أصوات الألفاظ في الآيتين:

فمن / يعمل / مثقال / ذرة / خيرا / يره))

أداة شرط / فعل لشرط / مفعول به/ مضاف إليه/ تمييز / جواب الشرط

ومن / يعمل / مثقال / ذرة / شرا / يره))

أداة شرط / فعل الشرط / مفعول به/ مضاف إليه / تمييز / جواب الشرط .

وعلى وفق مانراه من مماثلة صوتية في الآيات السابقة نجد التوا شج في ((المستويين التركيبي والصوتي من جهة والمستوى الدلالي من جهة أخرى))[٧٦]وبهذا يدخل الصوت في

النسيج الدلالي عن طريق المفارقة الصوتية التي ولدها فالتجنيس في تلك الألفاظ وما أضافه من تصوير إيحائي إلى المعنى، إذ أكد التجنيس في الآيتين المباركتين صورة العدل الإلهي في ((المساواة)) بين فئتين متناقضتين في الأعمال متفقتين في الرؤية إليها ، وكأن التجانس الصوتي بين الألفاظ أوحى للمتلقي بتلك المساواة ، فتصور إن تلك الأصوات وضعت مع صاحبها في ميزان فتعادل كفتاه في درجة الرؤية والوضوح .

بيد أن التجنيس في الأصوات أوحى أيضا بأن طبيعة الرؤية في قوله تعالى ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ))[٧٧] تختلف عن طبيعة الرؤية في قوله تعالى ((مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شرا يَرَهُ))[٧٨] ؛ لسبب بسيط ومفارقة واضحة في النص هو أن الخير نقيض الشر والحكم الإلهي سينظر إليهما ويقرر بنتيجة تختلف في كل طرف من أطراف الميزان ، والله أعلم .

الخاتمة

يبدو جليا من خلال ما استقصاه بحث التصوير الصوتي في سورة زلزلة التواشج اللصيق بين كل مفردة من مفردات السورة وكل صوت من أصوات المفردة داخل السياق فتتضافر الخصائص الصوتية وتتفاعل داخل التركيب لتمنح الصورة وضوحا وعمقا في الدلالة وهذا ماتجلى في :

١- إنتقاء الفاصلة القرآنية الموحية بالمعنى والمعمقة للصور في ذهن المتلقي وهذا ماتوضح للبحث في فاصلة الألف في الآياتالأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة من السورة.

٢- تغير القافية من الألف إلى الميم في الآية السادسةإلى فاصلة الهاء في الآيتين الأخيرتين من سورة زلزلة ، تبعا لتغير الحدثالذي رافقه تغير في ألوان التصوير، إذ إنتقل التصوير القرآني من خاصية الإضطراب التي صورتها الآيات الخمسة الأولى إلى موقف الهدوء والاستكانة في الآية السادسة وتواصلت المخالفة الصوتية في الفواصل في نهاية السورة إلى موقف ((الإسترخاء والضعف)) نتيجة طبيعية لما مر به الناس من خوف وترقب وانتظار و بعد العمل الشاق الذي إستنفذ كل القوى ، فكانت فاصلة الهاء أكثر تناسبا لتعميق تلك الصورة .

٣- التكرار الصوتي في سورة (الزلزلة) هي من السور القرآنية التي انمازت بدقة التصوير الصوتي ، إذ تجلت لنا مجموعة من الأصوات المتكررة ،أضفت على الحدث أبعادا إيقاعية ودلالية من تلك الأصوات صوت اللام ، إذ تكررت (اللام) إحدى عشرة مرة بينما جاءت مر تين في كل آية من الآيات الأخرى ، وكذلك تكرر صوت الألف والزاي ، في تشكيل النسيج الصوري للمعنى وتعميقه.

٤وظف التكرار المقطعي للأصوات في بناء الصورة بتشكيلاته ضمن السياق العام للآيات وهذا ماتوضحت صورته جليا في مفردة (زلزل في الآية الأولى من السورة المباركة .

٥- كشف البحث عن أثر التجنيس في بناء الصورة من خلال :

- تأكيد صورة (الإضطراب) في ذهن المتلقي من خلال تعزيز رغبته في تقصي الدلالة الجديدة التي أحدثتها التغيرات الصوتية في اللفظتين وهذا ماتبين في كلمتي (زلزل) و (زلزال) في الآية الأولى من السورة المباركة .
- تعميق الجانب النفسي في الخطاب القرآني عنالمتلقي من خلال الإيقاعات الصوتية التي تغلغلت في نفوس السامعين ، إذ وفرتالخصائص الصوتية في الألفاظ المتجانسة شعورا مخيفا يثير الرهبة والرعب تارة ، والتأمل والتدبر تارة أخرى .

الهوامش

(١)- ينظر : مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة:د. نعمة رحيم العزاوي : دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد:ط١: ١٩٩٠: ٤٢.

(٢) مناهج البحث في اللغة : د.تمام حسان : دار الثقافة –مصر :ط٢: ١٩٧٤: ١١١.

(٣) الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تح: محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، (د. ت) : ٢ / ١٥٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٢ / ١٥٨ .

(٥) دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس : مكتبة الأنجلو المصرية: ط٤: ١٩٦٣: ٢٥٩.

(٦) المدخل إلى علم أصوات العربية :د غانم قدوري الحمد : المجمع العلمي : ٢٠٠٣: ٩.

(٧) - الصوت اللغوي في القرآن : د. محمد حسين الصغير : دار المؤرخ : بيروت – لبنان : ط١: ٢٠٠٠: ١٦٣.

(٨)- البقرة : ٢٣.

(٩)- التوجيه الأدبي : طه حسين وآخرون : دار الكتاب العربي : مصر : ١٩٥٤م: ١٣٨.

(١٠)- الصوت اللغوي في القرآن : ١٦٤.

(١١) – ينظر: النكت في إعجاز القرآن – لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ) – ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – حققها وعلقّ عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام – دار المعارف بمصر – د. ت ، لسان العرب : إبن منظور (٦٣٠ – ٧١١هـ) : دار صادر- بيروت: د.ت : مادة (فصل) ، البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ٥٣/١ ، الفاصلة القرآنية :محمد الحسناوي: سوريا: دار الأصيل للطباعة والنشر : ١٦١.

(١٢)– التمهيد في علوم القرآن : محمد هادي معرفة : مؤسسة النشر الإسلامي : ط٣: ١٤١٦: ٥/ ٢٢٢.

(١٣) ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع : السيد صدر الدين بن معصوم المدني : تح شاكر هادي شكر : ط١: ١٩٦٨م: مطبعة النعمان : النجف الأشرف : ٦/ ٢٥٠.

(١٤) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : يحيى بن حمزة العلوي : مصر:المقتطف:١٩١٤: ١٩/٣

(١٥) - ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٧٧/١.

(١٦) - ينظر: انوار البديع:٢٥٠/٦.

(١٧) ينظر : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب :دماهر مهدي هلال : دار الرشيد للنشر: ١٤٩.

(١٨) – الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس : مكتبة الأنجلو المصرية: ط٤: ١٩٧١م : ٢١.

(١٩) - الزلزلة : ١.

(٢٠) – تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦) تح: خالد عبد الرحمن ومروان سوار: دار المعرفة: بيروت- لبنان:ط١: ١٤٠٦- ١٩٨٦م: ٥١٥.

(٢١)- الزلزلة : ٢- ٥

(٢٢)– ينظر: بنية اللغة الشعرية : جان كوهن كوهن : ت .محمد الولي ومحمد العمري : دار توبقال: ط١ : ١٩٨٦.

(٢٣)- الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية-: د.غالب فاضل المطلبي : دار الحرية- بغداد: ١٩٨٤: ٣٠٧- ٣١١.

(٢٤) - منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري : د. قاسم البريسم : دار الكنوز الذهبية : ط١: ٢٠٠٠م : ٦٩.

(٢٥)- الزلزلة /٦.

(٢٦) - ينظر : قصار السور : دراسة إسلوبية : كريم طاهر عباس البعاج : رسالة ماجستير : كلية التربية : جامعة بابل : ٢٠٠٧م.

(٢٧) - الكوثر : ١- ٣.

(٢٨) - الإخلاص : ١- ٤.

(٢٩)- ينظر : سورة الناس ،

(٣٠)- الأصوات اللغوية : ٢١.

(٣١) - التفسير البياني للقرآن الكريم : د. عائشة عبد الرحمن : دار المعارف : مصر : ط٤: ١٩٧٤م: ١/ ١٠٠.

(٣٢) - الزلزلة : ٧- ٨.

(٣٣)- آل عمران : ٣٠.

(٣٤) ينظر : جرس الألفاظ : ١٣٧، أصوات اللغة العربية : ١٤٦:

((٣٥)- منهج النقد الصوتي : ٤٨.

(٣٦) - جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ : ٢٣٩ .

(٣٧) - ينظر: الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق،د.حفني محمد شرف :مطابع الاهرام الأهلية، : الجمهورية العربية المتحدة،(١٣٩٠ ــ١٩٧٠):٢٢٦.

(٣٨) - كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥) :تح: د. مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي: الرسالة- الكويت:١٤٠٠-١٩٨٠م : ١ / ٥٤.

(٣٩) – ينظر: سر صناعة الإعراب :أبي الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) : تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي عامر : دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان :ط١ : ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١ / ٧٥.

(٤٠)- ينظر: الصوت اللغوي ودلالته في القرن الكريم : محمد فريد عبد الله : دار ومكتبة الهلال : بيروت : ط١: ٢٠٠٨م: ١٢٥.

(٤١)- أصوات اللغة العربية : د. عبد الغفار حامد هلال : مكتبة وهبة : القاهرة : ط٣: ١٩٦٦م: ١٤٢- ١٤٥.

(٤٢)- ينظر : الأصوات اللغوية : ٢٠.

(٤٣)- ينظر : المصدر نفسه: ٢١.

(٤٤)- ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : الفيروز أبادي :دار أحياء التـــراث العربـــ ي : ١٩٦٤: ٥٦٤.

(٤٥) - علم الإسلوب مبادئه واجراءاته : د. صلاح فضل : دار الشروق : القاهرة : ط١: ١٩٩٨م: ٣٠٦.

(٤٦)- زلزلة : ٣.

(٤٧)- ينظر : علم وظائف الأصوات اللغوية – الفونولوجيا- د.عصام نور الدين: دار الفكر اللبناني: بيروت: ط١: ١٩٩: ١٣٨.

(٤٨) – التصوير الفني في القرآن: سيد قطب : دار الشروق: د.ت: ٣٢.

(٤٩)- ينظر : المصدر نفسه:٣٣.

(٥٠)- ينظر : المقطع في البنية العربية:رسالة ماجستير: رمال خلف احمد عبد العيساوي : كلية التربيـــة للبنـــات - جامعة تكريت : ٤٨.

(٥١) - المدخل إلى علم أصوات العربية : د. غانم قدوري الحمد :منشورات المجمع العلمـــي العراقـــي :٢٠٠٢م : ٢٠٢ .

(٥٢)- زلزلة : ١- ٥.

(٥٣)- ينظر : المفردات : أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني : ت. وائل أحمد عبد الـــرحمن:المكتبـــة التوفيقية: القاهرة – مصر: د.ت: مادة (زل).

(٥٤)- دراسات قرآنية في جزء عم : محمود أحمد نحلة : دار المعرفة الجامعية : الأسكندرية : ١٩٨٨: ١٢٤.

(٥٥) - ينظر : سر الفصاحة : ابو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، صححه وعلق عليـــه عبـــد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، الأزهر ، مصـــر ، ١٣٧٢هـــــ - ١٩٥٣م: ٢٣ . الأصـــوات اللغوية : ٢٣ ، علم الأصوات اللغوية : د. مناف مهدي الموسوي : دار الكتب العلمية: بغداد : ط٣: ٢٠٠٧م:٤٧.

(٥٦)- في ظلال القرآن : سيد قطب: دار إحياء التراث العربي : بيروت- لبنان: ط٥: ١٩٦٧: مج٨:ج٣٠: ٢٢٤.

(٥٧)- ينظر: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم : ١٧.

(٥٨)- المصدر نفسه : ١٦.

(٥٩)- أنوار الربيع في أنواع البديع : علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـــ) – حققه وترجم لشـــعرائه شاكر هادي شكر : النعمان – النجف الاشرف :ط١ : ١٣٨٨هـــ - ١٩٦٨م: ١/ ٩٧.

(٦٠)- المصدر نفسه : ١/ ٩٧.

(٦١)- الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – السيد الإمام يحيى بن حمزة بن علي بـــن إبـــراهيم العلوي اليمني (ت هـــ) – مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م: ٣٥١/٣.

(٦٢)- ينظر البديع تأصيل وتجديد : د . منير سلطان : دار المعارف : الإسكندرية : مصر : ١٩٨٦: ٧٦.

(٦٣)الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـــ) ، قدم له وبوبه وشرحه : علي أبو ملحم ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٠م : ٣١٨ .

(٦٤)- الطراز : ٢/ ٣٥٦.

(٦٥)- زلزلة : ١.

(٦٦) - أنوار الربيع : ١/ ١٤٤.

(٦٧)- ينظر : المصدر نفسه : ١/ ١٤٨.

(٦٨) - أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١-٤٧٤) : تح : عبد الحميد هنداوي : منشورات محمد علي بيضون : دار الكتب العلمية : بيروت : ط١: ٢٠٠١: ١٦.

(٦٩)- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : لأبن الإصبع المصري (٦٥٤هـ) : تح، حفني محمد شرف : مطابع شركة الإعلان الشرقية القاهرة :١٩٦٣ م: ١٠٤.

(٧٠)- بناء الصورة الفنية في البيان العربي : كامل حسن البصير ، المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م : ١١٥.

(٧١)- المثل في نهج البلاغة (دراسة تحليلية فنية) : رسالة ماجستير: عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي : كلية الآداب : جامعة الكوفة : ٢٠٠٧م: ١٥٢.

(٧٢)- ينظر البديع تأصيل وتجديد : د . منير سلطان : دار المعارف : الإسكندرية : مصر : ١٩٨٦: ٧٦.

(٧٣)- الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين الخطيب القز ويني (ت٧٣٩هـ) ، قدم له وبوبه وشرحه : علي أبو ملحم ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٠م:٣١٨ .

(٧٤)- الزلزلة : ٧- ٨.

(٧٥)- ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد الهاشمي : دار إحياء التراث العربي : بيروت – لبنان : د.ت : ٣٩٦- ٣٩٧. (١٦) - الزلزلة : ٧- ٨.

(٧٦)- قصار الصور : ٥٦.

(٧٧)- الزلزلة : ٧.

(٧٨)- الزلزلة : ٨.

ملخص البحث

التصوير الصوتي في سورة الزلزلة

يعد القرآن الكريم الكنز اللغوي المستدام على مدى العصور السابقة واللاحقة ، يغترف منه الباحثون عمق الدلالات والألفاظ والمعاني المتجددة ووحداته الإعجازية.

ومن تلك الوحدات الإعجازية الصوت ،إذ ترتفع القيمة الصوتية في القرآن الكريم من خلال الإنسجام الواضح بين الصوت والبنى التكوينية الأخرى للكلمة ضمن السياق ودلالة الحدث .

وقد حاول الباحث في دراسته للصوت في سورة زلزلة ،الإشارة إلى علاقة الصوت بالدلالة المركزية للآيات القرآنية وأثر ذلك في تصوير المعنى وتعميقه في ذهن ونفس المتلقي فجاءت الدراسة على ثلاثة مباحث تقدمها توطئة عامة تبين أثر الصوت في بناء المعنى .

وتلى التوطئة المبحث الأول درس فيه الفاصلة القرآنية ونقصد بها اللفظ الكائن في آخر الآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر، وتوضيح أهميتها في التصوير القرآني.

أما المبحث الثاني فجاء لدراسة أثر التكرار في التصوير ، وتقصى مبحث التكرار التصوير من خلال:

- التكرار لبعض الأصوات من دون غيرها في بنية الكلمة والسياق العام للآيات القرآنية.
- التكرار المقطعي.

ولما كان التجنيس يعتمد في بنيته الإسلوبية على الجانب الصوتي ، جاء المبحث الثالث ليتعقب أثر التجنيس في التشكيل الصوري في السورة المباركة.

وختم البحث بنتائج الدراسة التي أفصحت عن التصوير الصوتي في سورة زلزلة والتواشج اللصيق بين كل مفردة من مفردات السورة وكل صوت من أصوات المفردة داخل السياق فتتضافر الخصائص الصوتية وتتفاعل داخل التركيب لتمنح الصورة وضوحا وعمقا في الدلالة.

Summary

The phonological representation in sura of Al zelzala

The holy Quran is considered as the permanent linguistic treasure in the late and coming periods. The researchers consider the depth of its denotations, expression, renewing meanings and supernatural units.

One of those supernatural units is phonology. The value of phonology raises in the holy Quran through the clear harmony between phonology and the other microstructures of words within the context and denotation of the act.

In this study, the researcher tries to refer to the relation between phonology and central denotation of Quranic verses and meaning representation wile deepening it in receiver's mind and psyche. Therefore, the study is divided into three researches, preceded by an introduction shows the influence of phonology in contrasting meaning.

After the introduction comes the first chapter which studies the Quranic separator. It means the expression at the end of the verse that finishes with a phoneme wither it recurs or not, creating importance of this Quranic separator in the quranic representation.

The second research studies the influence of recurrence in the representation, and investigates the research of recurrence representation throughout:

*recurrence of some phonemes rather than the others in the word structure and the general context of the Quranic verses.

*Syllabic recurrence.

Since the gender in its stylistic structure depends on phonological aspect, the third chapter traces the influence of gender in imaging formation in this blessed sura.

The research concludes with results of the which clarifies the phonological representation in sura of zelzala and the adherent relevance between each word of the sura and each phoneme of the word within the context. As a result the phonological aspects combine and interact within the structure providing the image with clarity and depth in denotation.

المصادر والمراجع

♦ - القرآن الكريم.

♦ - أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١-٤٧٤) تح:عبد الحميد هنداوي: منشورات محمد علي بيضون : دار الكتب العلمية : بيروت : ط١: ٢٠٠١م.

♦ - الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: مكتبة الأنجلو المصرية: ط٤: ١٩٧١م.

♦ - أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار حامد هلال : مكتبة وهبة : القاهرة : ط٣: ١٩٦٦م.

♦ - : أنوار الربيع في أنواع البديع : السيد صدر الدين بن معصوم المدني: تح: شكر هادي شكر : مطبعة النعمان:النجف الأشرف: ط١: ١٩٦٨م.

♦ - الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق: د.حفني محمد شرف : مطابع الأهرام الأهلية: الجمهورية العربية المتحدة:١٩٧٠م.

♦ - الإيضاح في علوم البلاغة :جلال الدين الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) قدم له وبوبه وشرحه:علي أبو ملحم: منشورات دار مكتبة الهلال: بيروت – لبنان:الطبعة الأخيرة: ٢٠٠٠م

♦ - البديع- تأصيل وتجديد: د. منير سلطان: دار المعارف : الإسكندرية- مصر : ١٩٨٦م.

♦ - البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)

♦ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:الفيروز أبادي:دار أحياء التراث العربي:١٩٦٤

♦ - بناء الصورة الفنية في البيان العربي: كامل حسن البصير: المجمع العلمي العراقي : بغداد: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

♦ - بنية اللغة الشعرية: جان كوهن كوهن: ت محمد الولي ومحمد العمري : دار توبقال: ط١ : ١٩٨٦.

♦ - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن :لأبن الإصبع المصري (٦٥٤هـ) : تح، حفني محمد شرف : مطابع شركة الإعلان الشرقية القاهرة :١٩٦٣ م.

♦ - التفسير البياني للقرآن الكريم: د.عائشة عبد الرحمن: دار المعارف: مصر: ط٤: ١٩٧٤م

♦ - تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي(ت٥١٦) : تح، خالد عبد الرحمن ومروان سوار: دار المعرفة بيروت-لبنان:ط١: ١٤٠٦-١٩٨٦م.

♦ - التمهيد في علوم القرآن : محمد هادي معرفة : مؤسسة النشر الإسلامي : ط٣: ١٤١٦.

♦ - التوجيه الأدبي : : طه حسين وآخرون : دار الكتاب العربي : مصر : ١٩٥٤م.

♦ - جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال: دار الرشيد للنشر: بغداد:١٩٨٠م.

♦ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي : دار إحياء التراث العربي : بيروت – لبنان: د.ت.

♦ - الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني: تح، محمد علي النجار:دار الهدى للطباعة والنشر بيروت – لبنان: ط٢ :(د. ت).

♦ - دراسات قرآنية في جزء عم : محمود أحمد نحلة : دار المعرفة الجامعية : الأسكندرية : ١٩٨٨م.

♦ - دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس : مكتبة الأنجلو المصرية: ط٤: ١٩٦٣م.

♦ - سر صناعة الإعراب :أبي الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) : تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي عامر : دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان :ط١ : ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

♦ - سر الفصاحة: ابو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي: صححه وعلق عليه:عبد المتعال الصعيدي :مطبعة محمد علي صبيح وأولاده :الأزهر - مصر: ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

♦ - الصوت اللغوي في القرآن : د. محمد حسين الصغير : دار المؤرخ : بيروت – لبنان : ط١: ٢٠٠٠م.

♦ - الصوت اللغوي ودلالته في القرن الكريم : محمد فريد عبد الله : دار ومكتبة الهلال : بيروت : ط١: ٢٠٠٨م.

♦ - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : يحيى بن حمزة العلوي : مصر:المقتطف:١٩١٤.

♦ - علم الإسلوب مبادئه واجراءاته : د. صلاح فضل : دار الشروق : القاهرة : ط١: ١٩٩٨م.

♦ - علم الأصوات اللغوية: د. مناف مهدي الموسوي: دار الكتب العلمية: بغداد : ط٣: ٢٠٠٧م .

♦ - في ظلال القرآن : سيد قطب: دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان: ط٥: ١٩٦٧م.

♦ - كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي :تح: د. مهدي المخزومي – د.إبراهيم السامرائي : مطبعة باقري قم – ط١ – ١٤١٤هـ.

♦ - المدخل إلى علم أصوات العربية :د غانم قدوري الحمد : المجمع العلمي : ٢٠٠٣م.

♦ - مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة:د. نعمة رحيم العزاوي : دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد :ط١: ١٩٩٠م.

♦ - المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢) تح وائل أحمد عبد الرحمن:المكتبة التوفيقية: القاهرة – مصر: د.ت: مادة(زل).

♦ - البحث في اللغة : د.تمام حسان : دار الثقافة –مصر :ط٢: ١٩٧٤م.

♦ - منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري : د. قاسم البريسم : دار الكنوز الذهبية : ط١: ٢٠٠٠م .

♦ - النكت في إعجاز القرآن:لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ) – ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : حققها وعلقّ عليها: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام : دار المعارف – مصر: د. ت.

الرسائل الجامعية والأطاريح

♦ - قصار السور : دراسة إسلوبية : كريم طاهر عباس البعاج : رسالة ماجستير : كلية التربية : جامعة بابل : ٢٠٠٧م.

♦ - المثل في نهج البلاغة (دراسة تحليلية فنية) : رسالة ماجستير: عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي: كلية الآداب : جامعة الكوفة : ٢٠٠٧م.

♦ - المقطع في البنية العربية:رسالة ماجستير: رمال خلف احمد عبد العيساوي : كلية التربية للبنات - جامعة تكريت.